

## تجربة إماراتية لافتة في أدب الطفل

اليازبة خليفة: مشروع لادب الأطفال يقوم على التأليف والترجمة والرسم بلغة جديدة



اليازبة خليفة... تتغامر مع الأطفال عن قرب لتلتقط حساسية الطفل بإزاء الفن والكتابة

عليها، وحينما أدركت بأنها مرّقت صورة والدها سعت إلى إعادة ترميم الصورة، فبدأت في تصميم كولاغ مما مرّفته، ثمّ فكرت بأن تترك رسالة إلى والدها على كرسي القراءة خاصته، فالفقت ما قطعته من رسمتها، مع عدد من القلوب، لتصل في النهاية إلى خلاصة القول: أبي لا تكسر قلبي وأقرأ لي".

**تفخر اليازبة بأن تكون «الفلك للترجمة والنشر» لها قدم السبق في الإمارات أو في الخليج، وربّما العالم العربي لإصدار «الكتب الصامتة» وهي كتب مرسومة من دون كلمات، بدءاً بكتاب لرسماء بريطانية عام 2016، مع إصدارين صامتين من كوريا الجنوبية عام 2017**

وتختتم اليازبة خليفة حديثها معنا بالتأكيد على أهمية هذا الكتاب بالنسبة إلى الدار وتقول "لقد قدّمنا الكتاب في عدة جلسات للقراءة، فوجدنا بأن الأطفال باشرنا في الحال برسم رسائل إلى آبائهم، فحدث ما لم أتوقعه، عندما وصلني رسم من طفلة لأفراد متناثرين على الصفحة لا يجمعهم شيء وعلى ركن الصفحة كتبت جملة ثم لوّنتها بالبنّي والكحلي والرمادي، تطلب فيها من والديها أن ينظروا إليها؛ هذه الصورة جعلتني أشعر بالمسؤولية أكثر، فعلى الآباء أن ينظروا إلى رسوم أطفالهم، وما أطمح إليه هو أن يدرك الآباء بأن القراءة مع الأبناء ليست مجرد تصفح لكتاب، بل هي مشاعر من الاحتواء والحنان والحب بينك وبين ابنتك".

الصحفان 10 و13 تنشران بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية.

التي كانت جاهزة ما بين 2013 و2014، ولا أعلم بعد، ما إذا كان ذلك إيجابياً أم سلبياً".

لم تكتب اليازبة في الآونة الأخيرة كثيراً، ويبدو أن العمل على تأسيس دارها وتكوينها وتمكينها من دخول معترك سوق الكتاب، قد أخذ من وقتها الكثير وتقول "أنا اليوم لم أكتب شيئاً جديداً، وما نشر في 'الفلك' هو من كتاباتي السابقة، وما ركزت عليه في الشهور الماضية هو البحث عن رسامين، وسعيت إلى العثور على رسامين إماراتيين للعمل معهم".

تجربتها الأولى، بكتاب «عندما يُفكر الهواء» لم تكن بمستوى ما تطمح إليه «لكن التجربة الثانية، وكانت مع الرسامة علياء البادي ذات الرسم المتميز والشخصية المتطورة جداً، والتي تتقن رسم صور لأفكار متسلسلة للقصة، بينما كنت أنهدم في إلهام الرسامين الآخرين بشرح أهمية التسلسل النصي عند الرسم للأطفال، واختزال النص في حد ذاته في هذه الرسومات".

### مشروع ريادي

تفخر اليازبة بأن تكون «الفلك للترجمة والنشر» لها قدم السبق في الإمارات أو في الخليج، وربّما العالم العربي لإصدار «الكتب الصامتة» وهي كتب مرسومة من دون كلمات، بدءاً بكتاب لرسماء بريطانية عام 2016، ثم إصدارين صامتين من كوريا الجنوبية عام 2017، وحول هذا تقول "وبعد ذلك وقّفتنا في إنتاج ثلاثة إصدارات إماراتية من الكتب الصامتة لعلياء البادي وعائشة البادي ولي كذلك"، وتضيف "قصتي الصامتة 'أبي لا تكسر قلبي'، رسمتها بنمط خريشات الأطفال الصغار، والفكرة بسيطة أيضاً، لأن الرسالة الحقيقية هي للآباء؛ فبطلة القصة فتاة تحاول الرسم، لكنها عصبية المزاج، ينكسر القلم وهي ترسم صورة قلب إلى جانب صورة والدها، وتمزيق الورقة التي رسمت

حقوقه وهو «أوتولابن» للرسم والكاتب البريطاني كريس ريديل "وقد تم اختياره ضمن المجموعة الأولى من إصدارات الفلك لأنني لمست في جميع ورش العمل التي شاركت فيها بأن الأغلبية الساحقة من العاملين في هذا الإطار متأثرون إما بـ 'المانغا' اليابانية أو بـ 'الكوميكس' الأميركي، لكن من يتصفح كتب كريس ريديل يدرك تماماً بأن هذا الشخص بريطاني ومعني بالنمط البريطاني في تفاصيل رسومه، حيث يغلب عليها وجود كلمات وجمل متناثرة ضمن الرسم ذاته، كما أنك حين تتصفح أحد كتبه ترى شوارع لندن، وساعاتها، وشاي ما بعد الظهر".

### بين النشر والكتابة

بالإضافة إلى شراء الحقوق وترجمة الكتب، تميّزت دار «الفلك» عن غيرها أيضاً بكونها صارت تباع هي الأخرى حقوق النشر، فتقول اليازبة "في جميع حقوقي مع دور النشر الأجنبية كنت أواجه هذا السؤال 'أنت تاتنين إلينا لشراء الحقوق، وماذا عنك؟ لماذا لا تبيعين الحقوق؟' لذا قرّرت الإقدام على الخطوة التالية وهي أن أبيع الحقوق من دور نشر أخرى، فالفلك في تلك الفترة لم تكن تنتج محتوى خاصاً بها، فاصبحت وكالة أدبية، والآن لدينا ما بين ثلاث أو أربع دور نشر تمثلهم على المستوى العالمي".

وقد قرّرتنا في 'الفلك'، للترجمة والنشر بالبدء بإصدار منشوراتنا، انطلاقاً من مسوداتي



فاجابني، كلاً، أنت إماراتية وسننشر لك القصة، فاجبته، 'لأنني إماراتية، لن تنشر لي قبل أن تقرأها؛ وسأعود إليك مرة أخرى'. بعدها عدت إليه حاملة معي مجموعة من القصص المصورة التي كنت أحتفظ بها في مجموعتي الخاصة، وهي إنجليزية، ألمانية وفرنسية فنظر إليها وشعر أنه بإزاء مستوى عالمي وليس مستوى محلي أو عربي".

### خوض المغامرة

تضيف اليازبة قائلة "في تلك اللحظة جرحت، فإذا لم يكن بمقدوري أن أرفع سقف أهدافي وطموحي وأن أنتج كتاباً بهذا المستوى، فلماذا ينبغي أن أكون في السوق، فاختلطنا، ثم بدأت بالبحث عن مستطع نشر قصتي عبر ترجمتها إلى لغة أخرى، وانتهى الأمر بي إلى اتخاذ قرار بتأسيس دار نشر متخصصة بالترجمة، لطرح محتوى متميز متنوع برسوم مختلفة، ولتكون هناك ترجمات لهذه القصص العالمية باللغة العربية، كي تكون مرجعاً لمن أراد الكتابة أو الرسم لأب الأطفال".

لم يقتصر عمل اليازبة خليفة على تأسيس الدار أو الترجمة، بل تعدى ذلك إلى البحث عن الطاقات الفنية والإبداعية التي يمكن أن تسهم في تحقيق مسار متكامل، وتروي عن كتاب اقتنت حقوقه من دار نشر «لاتيرتسا» الإيطالية، حين اكتشفت عجز الرسام الإيطالي عن تحقيق رسم وجوه أبطال القصة، وتقول "كانت جميع الشخصيات مرسومة إما بشكل جانبي أو من الخلف فانتيقت الكتاب ليريّ الرسام العربي أنه قادر على تجاوز نقاط ضعفه في الرسم عن طريق التركيز على أشياء أخرى كرمس تفاصيل البيئة المحيطة مثلاً، وتطلق الناشرة الإماراتية ما يشبه النداء إلى جميع رسامي الكتب المصورة للأطفال "اناشدكم بالأنا تشاروا أنفسكم في نمط مُحدّد من طرائق الرسم، بل أوجدوا نمطكم الخاص".

وتشير اليازبة خليفة إلى كتاب آخر اقتنت

ناشرة لهذا النوع من الكتب، ولم تكن مدفوعة في ذلك فقط بالرغبة لإنجاز مشروع استثماري، بل بضرورات ذات صلة بشغفها وبحثها إلى فضاء جديد لهذا النوع من الكتب، وتقول "قبل أن أكون ناشرة، أنا في حقيقة الأمر قارئة ومطلعة، أتملت الدكتوراه في عام 2013 عدت إلى البلاد وشعرت بفجوة، لأن الدكتوراه تطلب الكثير من قراءة وإعادة تحرير الكلام والكتابة، وشعرت مباشرة بالحاجة، فمضت أن رجعت اقتنعت المراجعة والكتابة، وافتقدت الورقة والقلم؛ بعد ذلك شاركت في ورشة عمل كتب صنعت في الإمارات' بتنظيم كل من 'المجلس الإماراتي لكتب اليافعين' ومعهد 'غوته' الألماني، وكانت الورشة تحديداً عن كتابة روايات 'الفانتازيا'، ولكوني أساساً أكاديمية فقد بحثت عن تلك الكتب ولم أحصل على أي عنوان عربي في 'الفانتازيا'، لا أبلغ إن قلت -في تلك الفترة- لم تكن هناك كتب لهذا الصنف الإبداعي لدينا إطلاقاً، وقد كانت هذه هي الصدمة الأولى بالنسبة إليّ، أما الصدمة الثانية فقد كانت عندما قرّرت الإطلاع على محتوى أدب الطفل العربي، أولاً في مكتبي، فوجدت بأن تلك الكتب باللغة العربية قليلة للغاية، كان أهمها سلسلة 'الليدي بيرد' وهي سلسلة مترجمة لكلاسيكيات أدب الطفل العالمي، مقارئة بما تضمه مكتبي من عناوين إنكليزية وألمانية، وعثرت أيضاً على مجموعة فرنسية أيضاً، فصعقت أن أكتشف بأن مكتبي الخاصة لا تحتوي على كتب عربية متميزة في هذا الإطار. ثانياً، انتقلت للبحث في المكتبات المجاورة، وتواصلت مع دور النشر وبدأت بالكتابة للأطفال، قرّرت أن أبدأ بكتابة مجموعة قصص قصيرة مصورة وأخرى في فصول، كما بدأت برواية 'الفانتازيا' التي لم أنشرها حتى الآن.

لكن هناك موقف مُحدّد حفّزك إلى المبادرة بتأسيس دار النشر؟

نعم، لقد حدث ذلك عندما قدّمت مسودة القصة الأولى إلى ناشر، نظر إليها بينما كان يتحدث معي، وأنا مُعجبة لم لا يدخل في صميم الموضوع ويناقشني في مسودتي، ولكنه لم يفعل، فسألته ما إذا كان قد قرأها أم لا،

تطلّق الأسماء على الناس أو على الأشياء بسبب الشغف والحب، بالشخص أو بالشيء أو بالأسماء ذاتها؛ لكن الحب والشغف، على أهميتهما، ليسا الحافزين الوحيديين للتسمية، فهما، وإن كانا ظاهرين للعيان، يكتنزان في دواخلهما حوافر أكبر، ذات ارتباط وثيق بهدف تلك التسمية، وليس هناك من مثال أدق على ما أقول من الاسم الذي اختارته الأدبية والناشرة الإماراتية اليازبة خليفة لدار النشر التي أسستها في أبو ظبي منذ بضع سنين: «الفلك»، أي ما يعبر الإنهر ويمخر عياب البحر، وما يُحمل على منته لإيصاله إلى الضفة الأخرى، التي قد تكون ضفة الوصول إلى السد أو إلى أرض النجاة، وهو، أي «الفلك»، حسب جميع الكتب السماوية ونصوص الأساطير القديمة، ما أنقذ البشرية من الغرق والهلاك خلال الطوفان. التقينا اليازبة خليفة في معرض الكتاب بتورينو الإيطالية، التي استضافت الشارقة، في هذا العام كضيفة شرف.



عرفان رشيد كاتب عراقي

اختارت هذه الناشرة اسم «الفلك» انطلاقاً من الالتزام والسعي لتعبير بالثراء الجديس والأطفال واليافعين من الجهل إلى المعرفة عبر الكتاب بانواعه، مُمسكة برأس الخيط في المُقدمة، فلا تقدّم دون التعليم والمدرسة والكتاب، ولا مجتمع قادراً على الحياة في العصر الحديث دون ومضة النور المشعة من الثقافة، ورغم ما يدعيه البعض في الكتاب، أو الثقافة بشكل عام، ليس خبراً يعتاش به البشر، لكنّها في حقيقة الأمر، أي الكتاب والثقافة، مفتاحان ثريان لإيصال البشر إلى مستويات أعلى ولتمكينهم من ضمان المستقبل الأفضل والكرامة والقدرة على الدفاع والنود عن تلك الكرامة وذلك المستقبل.

### نشر مستقل

تقول اليازبة خليفة للفلك للترجمة والنشر دار نشر مستقلة، تأسست في عام 2015 في أبو ظبي، وجاء ميلادها لسدّ فجوة الفراغ في إطار كتب للأطفال واليافعين تحديداً، وهذا ما دعانا إلى التفكير بإثراء المكتبة العربية بإصدارات مترجمة من اللغات المتنوعة، مثل الإيسلندية والإسبانية والهولندية والإيطالية والكورية والفرنسية، وفي المستقبل القريب اللغة الألمانية واليابانية، وتُضيف "الهدف هو إثراء المكتبة العربية وتوعية الطفل العربي وتعريفه بتنوع الثقافات على المستوى العالمي، كما أنّ هدفنا الرئيسي هو تعليم القراءة الناضجين والوالدين بكيفية تحبيب القراءة إلى الأطفال الصغار من الأجيال المتأخرة؛ لأن أبناء وبنات هذه الفئة العمرية يحتاجون إلى حضن، وإلى شخص يجلس معهم ليقرأ لهم قصة، وإذا أصبح ارتباطهم مع القراءة ارتباطاً عاطفياً، وليس مجرد ارتباط مدرسي أو منهجي، وبالتالي يبدأ الطفل بالانفتاح على القراءة والكتاب ولا يمانع ولا يهاب تصفح الكتاب".

وتضيف اليازبة بأن "فكرة الدار جاءتنا لأننا لمسنا هذه الحاجة، فسينا إلى تحقيقها، اخترنا اسم 'الفلك' لأننا نؤمن بأن سيدنا نوح تمكن في يوم من الأيام من إنقاذ البشرية، لذا فإنّ الأصرة مع العلم والكتاب والتغنى في القراءة هو ما سيُنجّي المجتمعات اليوم، فالقراءة الواعية تتيح تفهم وضع الآخر وتسمح لنا بإدراك سبب وجودنا في هذه الحياة".

### بحثاً عن الفانتازيا

تلك أهمية القراءة والكتاب، وكان بمقدور اليازبة أن تواصل الكتابة وإنجاز الكتب للنشر الجديد واليافعين، لكنّها اجتازت ذلك لتصبح